واجباتي

التوحيد
للصف الثالث المتوسط
الفصل الدراسي الأول
كتاب الطالب

الوحدة الأولى

القَضَاءُ والقَدَرُ

دروس الوحدة

- الدرس الأول:
  الإيمان بالقَدَرِ.
- الدرس الثاني:
  مراتبُ القَدَرِ.
- الدرس الثالث:
  الصَّبْرُ على أقدارِ الله المؤلمة.
- الدرس الرابع:
  مراتبُ الناسِ عندَ المصيبة.
- الدرس الخامس:
  ما يعين على الصبر.
- الدرس السادس:
  استعمال (لَوْ) في الكلام.

الأهداف

أخي الطالب يتوقع منك بعد دراسة هذه الوحدة أن :

١. تبيّن حكم الإيمان بالقدر ، وحكم من أنكره.
٢. تشرح مراتب الإيمان بالقدر .
٣. تستشعر أثر الإيمان بالقدر على الفرد والمجتمع .
٤. تطبّق ما تدرسه في موضوع الإيمان بالقدر على ما يواجهك من مواقف .
٥. تبيّن أهمية الصبر على أقدار الله ، والآثار المترتبة على الرضا بها .
٦. تعدّد مراتب الناس حال المصيبة .
٧. تستنبط صورًا من مظاهر عدم الرضا بالقدر .
٨. تميّز بين الاستعمال الجائز والممنوع لكلمة (لو).
٩. تستدل على حكم استعمال كلمة (لو) .
١٠. تحذّر من الخوض في القدر .

الدرس الأول ١

الإيمان بالقَدَرِ

تمهيد

● ما عدد أركان الإيمان ؟

ستة: وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: "صَدَقْتَ". أخرجه مسلم.

● ما ترتيب الإيمان بالقدر بين أركان الإيمان ؟

هو الركن السادس من أركان الإيمان.

(١) سورة القمر آية ٤٩. (٢) سورة الأحزاب آية ٣٨.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم (٨).

تعريفُ القَدَرِ

القَدَرُ هو: عِلْمُ الله تعالى بالأشياءِ قبلَ حُدوثها، وكتابتُهُ لذلكَ في اللَّوحِ المحفُوظِ، ومشيئتُهُ، وخلقُهُ لَهَا.

وجوب الإيمان بالقَدَرِ

الإيمان بالقَدَرِ واجب، وهو ركنٌ من أركان الإيمان السِّتة، لا يصح إيمان أحد دون أن يؤمن به.

ومن الأدلة على ذلك:

١ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١].

قضاءً مقضيًا لا بد من وقوعه

٢ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[٢].

٣ حديث عُمَرَ بن الْخَطَّاب رضي الله عنه في حديث جبريلَ عليه السلام أنَّهُ سأَلَ النَّبيَّ ﷺ عن الإيمَان، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: «صَدَقْتَ»[٣].

(١) سورة القمر آية ٤٩. (٢) سورة الأحزاب آية ٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمَان، باب بيَان الإيمَان وَالإسْلام وَالإحْسَان برقم (٨).

واجباتي

حقيقةُ الإيمان بالقَدَرِ

حَقيقةُ الإيمان بالقَدَرِ: أن نعتقدَ أنَّ الله سبحانه عَالمٌ بما سيعمله العبَادُ قبل أن يخلقهم، وأنه كتَبَ ذلك عنده، وأنَّ أعمالَ العبادِ خيرَها وشرَّها مَخلوقةٌ لله، واقعةٌ بمشيئته، وأن ضَلالَهم واهتداءَهم كلٌّ ذلكَ صادرٌ عن مشيئتِه، فمَا شاءَ كانَ، ومَا لم يَشأ لم يكن، وأنه لا يقعُ في الكونِ شيءٌ بغير علمِه ومشيئته[1].

حكم إنكار القَدَرِ

إنكارُ القَدَرِ كُفْرٌ، لما تضمنه من تكذيب الكتاب والسُّنة، وإنكار علم الله بالأشياء قبل حدوثها.

ومن الأدلة على ذلك:

١ سئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن قوم يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ، فقال للسائل: فإذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بريءٌ منهم، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عبدُ اللهِ بن عُمَرَ، لو أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ ما قَبِلَ اللهُ منهُ حتى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

ثُمَّ قال: حدَّثني أبي عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ حديثَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وفيه: أنه قالَ لِلنَّبِيِّ: فَأَخْبِرْنِي عن الإيمَانِ. قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».[2]

٢ وقال عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابْنِه: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».[3]

---

(١) ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/٣٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم (٨).

(٣) أخرجه أحمد ٣٧/ ٢٧٨ (٢٢٧٠٥)، وأبو داود في كتاب السنة، بَابٌ في القَدَرِ برقم (٤٧٠٠). وهذا لفظه. والترمذي في أبواب القدر، باب رقم (١٧) برقم (٢١٥٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠١٧). (٣٠١٨). وليس عند أحمد والترمذي قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

نشاط ١

ما موقف ابن عمر رضي الله عنهما مع منكري القدر؟ وما الفائدة من ذلك؟

أنه بريء منهم، وأنهم براء منهم، وقال: والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

والفائدة من ذلك: أن إنكار القدر كفر، لما تضمنه من تكذيب الكتاب والسنة، وإنكار علم الله بالأشياء قبل حدوثها.

النهيُ عن الجدال في القَدَرِ

نهى النبي ﷺ عن الجدال في القدر، كما في حديث عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ». (١)

وسبب النهي يعود إلى أمرين:

١. أن السلامة في التسليم لله تعالى، والتسليم بقضائه وحكمته وعدله، فهو الحكيم في شرعه وأمره ونهيه، كما هو الحكيم في مشيئته وخَلقه، فهو الحكيم في أمره الكوني وأمره الشرعي.

٢. أن العقول قد يقصر فهمها عن بعض الأمور الخفية، أو كثير منها، وإذا فهمها بعض الناس فقد تخفى على آخرين، فتكون لهم فتنة في الجدال في القَدَرِ.

- قال الإمام أحمد: (من السنة اللازمة الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال لم؟ ولا كيف؟).
- قال الآجري: (لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به)(٢).

(١) أخرجه أحمد ١١/٢٥٠ (٦٦٦٨)، وكرره بالأرقام (٦٧٠٢)، (٦٧٤١)، (٦٨٠١)، (٦٨٤٥)، (٦٨٤٦)، وابن ماجه في كتاب الإيمان، بَابٌ فِي الْقَدَرِ برقم (٨٥) وهذا لفظه، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ١/١٧٧ (٤٠٦)، والطبراني في المعجم الأوسط ٢/٧٩، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (١/١٤)، وحسنه الألباني في التعليق على كتاب السنة.

(٢) الشريعة للآجري ٣/٦٩٧.

نشاط ٢

بالتعاون مع مجموعتك: بيِّن علاقة الإيمان بالقدر بالركن الأول من أركان الإيمان.

هو أن نعتقد أن الله سبحانه عالم بما سيعمله العباد قبل أن يخلقهم، وأنه كتب ذلك عنده، وأن أعمال العباد خيرها وشرها مخلوقة لله، واقعة بمشيئته، وأن ضلالهم واهتداءهم كل ذلك صادر عن مشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في الكون شيء بغير علمه ومشيئته.

التقويم

س١ ما تعريف القدر ؟

القدر هو: علم الله تعالى بالأشياء قبل حدوثها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ، ومشيئته، وخلقه لها.

س٢ ما حكم الإيمان بالقدر؟ مع الدليل .

الإيمان بالقدر واجب، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، لا يصح لإيمان أحد دون أن يؤمن به.

ومن الأدلة على ذلك: قال تعالى: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)"، وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: "صَدَقْتَ" أخرجه مسلم.

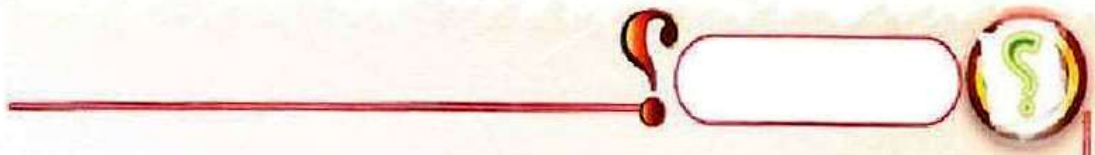

س٣ ما حقيقة الإيمان بالقدر ؟

حقيقة الإيمان بالقدر: أن نعتقد أن الله سبحانه عالم بما سيعلمه العباد قبل أن يخلقهم، وأنه كتب ذلك عنده، وأن أعمال العباد خيرها وشرها مخلوقة لله، واقعة بمشيئته، وأن ضلالهم واهتداءهم كل ذلك صادر عن مشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في الكون شيء بغير علمه ومشيئته.

س٤ ما حكم إنكار القدر؟ مع الاستدلال.

حكم إنكار القدر: كفر، لما تضمنه من تكذيب الكتاب والسنة، وإنكار علم الله بالأشياء قبل حدوثها.

ومن الأدلة على ذلك: فعن عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ أنه قال لابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ)، سَمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّل مَا خَلَقَ الله تَعَالى القَلَمَ فقال له: اُكْتُبْ، فقَال: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُب ؟ قال: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُل شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: "مَنْ مَاتَ عَلى غَيْرِ هذَا فَلَيْسَ مِنِّي".

معلومات إثرائية

الفرق بين القضاء والقدر

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (إن القدر (تقدير الله في الأزل) والقضاء (حكم الله بالشيء عند وقوعه) فإذا قدر الله تعالى أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء، وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ ﴾[2] وما أشبه ذلك. ومنهم من قال إنهما بمعنى واحد والراجح أنهما إن قرنا جميعًا فبينهما فرق كما سبق، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنى واحد)[3].

(١) سورة يوسف آية ٤١. (٢) سورة غافر آية ٢٠.
(٣) فتاوى العقيدة، ص ٧٩.

الدرس الثاني ٢

مراتب القدر

تمهيد

الإيمان بالقدر لا يتم إلا بمعرفة أربعة أمور تسمى مراتب القدر ولا يتم إيمان العبد إلا بتحقيق جميعها لأن بعضها مرتبط ببعض ومن أنكر واحدة منها اختل إيمانه بالقدر.

مراتبُ القضاءِ والقَدرِ

للقضاءِ والقَدرِ أربع مراتب، هي:

المرتبةُ الأولى: العِلْمُ

ومعناها: الإيمانُ بأن الله بكل شيء عليم، وأنه قد علم بأعمال الخلق قبل خلقهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[1].

نشاط ١

اذكر آية أخرى تدل على علم الله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (الحديد ٣)﴾

المرتبةُ الثانيةُ: الكتابةُ

ومعناها: الإيمانُ بأن الله سبحانه كَتَبَ مقاديرَ كلِّ شيءٍ في اللَّوحِ المحفوظ.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2].

جماعات متجانسة في الخلق والرزق

اللوح المحفوظ

(١) سورة الطلاق آية ١٢. (٢) سورة الأنعام آية ٣٨.

نشاط ٢

بالرجوع إلى أول سورة يس، استخرج آية تدل على مرتبة الكتابة.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ ..... ﴾
أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (يس ١٢).

المرتبةُ الثَّالثةُ: المشيئةُ

ومعناها: الإيمانُ بأن جميع ما يجري في هذا الكون واقعٌ بمشيئة الله تعالى.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

المرتبةُ الرَّابعةُ: الخَلْقُ

ومعناها: الإيمانُ بأن الله تعالى خالقُ كلِّ شيء، ومن ذلك: أفعالُ العباد كلُّها، خيرُها وشرُّها، فلا يقع شيء في هذا الكون إلا وهو خالقه جلَّ وعلا.

والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[2].

نشاط ٣

بعد فهمك لمراتب القضاء والقدر: اكتب معنى كل مرتبة بعبارة من عندك:

١ العلم: وهو إثبات علم الله الأزلي الأبدي بكل شيء، فنؤمن بأنا لله تعالى بكل شيءٍ عليم، علم ما كانوا ما سيكون، وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيا نبعد علم.

(١) سورة التكوير آية ٢٩.
(٢) سورة الزمر آية ٦٢.

نشاط

- الكتابة : وهي كتابة الله لجميع الأشياء في اللوح المحفوظ،..... الدقيقة والجليلة، ما كان وما سيكون، قال تعالى: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" (الحج ٧٠).

- المشيئة : المشيئة النافذة التي لا يردها شيء و قدرته التي لا... يعجزها شيء، فجميع الحوادث وقعت بمشيئة الله و قدرته، فما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن.

- الخلق : وهو التصديق الجازم بأنه سبحانه هو الموجد للأشياء كلها، وأنه الخالق وحده وكل ما سواه مخلوق له، وأنه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، قال الله تعالى: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ (٦٣)" [الزمر:٦٢-٦٣].

(١) سورة التكوير آية ٢٩.
(٢) سورة الزمر آية ٦٢.

أين ومتى كتبَ الله المقادير؟

كَتَبَ الله مقاديرَ كلِّ شيء في اللوح المحفوظ، قبل أن يخلق السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنة.

والدليل على ذلك: حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١).

الاحتجاج بالقدر على المعاصي

لا يصح الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به أو فعل مانهى الله عنه ويتبين بطلان ذلك من وجوه:

الأول: أن الله تعالى أقام الحجة على العباد بأن بيَّن طريق الخير وأمرهم به وأقدرهم على فعله ووعدهم بالجزاء الحسن.

وبيَّن لهم طريق الشر وحذرهم منه وأقدرهم على تركه وتوعدهم، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٢)، ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثاني: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا مايستطيع، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٣)، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٤)، ولو كان العبد مجبرًا على الفعل لكان مكلفاً بما لايستطيع الخلاص منه وهذا باطل، ولذلك فإن العبد إنما يعذر إذا وقعت منه المعصية بجهل أو نسيان أو إكراه.

الثالث: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه ومصالحه الشخصية حتى يحصله ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله عنه بالقدر، فلماذا يترك ما ينفعه في أمور دينه ويفعل ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أليس شأن الأمرين واحدًا؟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام برقم (٢٦٥٢).
(٢) سورة النساء آية ١٦٥.
(٣) سورة التغابن آية ١٦.
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦.

وإليك مثالاً يوضح ذلك: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لاتشتهيه، وينهى عنه الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه كل ذلك طلبًا للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره احتجاجاً بالقدر، فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله به ورسوله ﷺ أو يفعل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ محتجاً بالقدر؟

الرابع: أن الذي يحتج بالقدر على ماتركه من الواجبات أو فعله من المعاصي لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته، ثم احتج بالقدر وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

التقويم

س1 عدِّد مراتب الإيمان بالقدر.

للقضاء والقدر أربع مراتب، هي:

المرتبة الأولى: العلم؛ وهو الإيمان بأن الله بكل شيء عليم، وأنه قد علم بأعمال الخلق قبل خلقهم.

المرتبة الثانية: الكتابة؛ وهي الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: المشيئة؛ وهي الإيمان بأن جميع ما يجري في هذا الكون واقع بمشيئة الله تعالى.

المرتبة الرابعة: الخلق؛ وهو الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء ومن ذلك: أفعال العباد كلها، خيرها وشرها، فلا يقع شيء في هذا الكون إلا وهو خالقه جل وعلا.

التقـــويم

س٢ استدل بدليل من القرآن الكريم المرتبة الثانية والرابعة.

الدليل على المرتبة الثانية وهي (الكتابة): قال تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)" (سورة الأنعام).

الدليل على المرتبة الرابعة وهي (الخلق): قال تعالى: "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (سورة التكويب: ٢٩).

س٣ متى كتب الله المقادير؟ مع الدليل.

كتب الله مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

والدليل على ذلك: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"، قَالَ: "وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".

التقـــويم

س٤ كيف ترد على من يحتج بالقدر على المعصية ؟

لا يصح الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به أو فعل ما نهى الله عنه ويتبين بطلان ذلك من وجوه:

الأول: أن الله تعالى أقام الحجة على العباد بأن بين طريق الخير وأمرهم به وأقدرهم على فعله ووعدهم بالجزاء الحسن. **قال تعالى:** "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " (سورة النساء:١٦٥)، ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تكلف بإرسال الرسل لن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثاني: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع، **قال تعالى:** "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ" (سورة البقرة:٢٨٦). ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه وهذا باطل.

الثالث: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه ومصالحه الشخصية حتى يحصله ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله عنه بالقدر، فلماذا يترك ما ينفعه في أمور دينه ويفعل ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أليس شأن الأمرين واحداً؟

الرابع: أن الذي يحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته، ثم احتج بالقدر، لم يقبل حجته، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

معلومات إثرائية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب بإتفاق المسلمين وسائر أهل المِلل، وسائر العقلاء. فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كلُّ أحدٍ أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد ثم يحتج بالقدر. ونفسُ المحتجِّ بالقدرِ إذا أُعتديَ عليه، واحتجَّ المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداءة العقول)[1].

(١) مجموع الفتاوى ٨ ج ص ١٧٩.

الدرس الثالث ٣

الصَّبْرُ على أقدارِ اللهِ المؤلِمَةِ

تمهيد

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾. (١)

● ما الذي يقوله من ابتُلي بمصيبة ؟ وما أجره؟

يقول من ابتلي بمصيبة: "إِنّا لِلّهِ وَإِنّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ".

وأجره: جمع الله للصابرين أموراً ثلاثة لم يجمعها لغيرهم وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم.

المراد بالصبر على أقدار الله المؤلمة

المراد بالصبر على أقدار الله المؤلمة: حبسُ النفسِ عن الجزَع، وحبسُ اللسان عن التَّشكِّي والتَّسخُّط، وحبسُ الجوارح عن لطمِ الخدود وشقِّ الجيوب ونحوهما.

(١) سورة البقرة آية ١٥٥-١٥٧.
(٢) سورة آل عمران آية ٢٠٠.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ عِنْدَ الْقَبْرِ: اصْبِرِي برقم (١٢٥٢)، ومسلم في كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ برقم (٩٢٦).

واجباتي

حكم الصبر

الصبر واجب بإجماع العلماء.

والدليل على هذا:

١ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (٢)

٢ حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ، وَاصْبِرِي». (٣)

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٥-١٥٧.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ عِنْدَ الْقَبْرِ: اصْبِرِي برقم (١٢٥٢)، ومسلم في كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ برقم (٩٢٦).

الحكمة من وجوب الصبر

شرع الله الصبر على المصيبة لحكم، منها:

١ **التأدب مع الله تعالى في قضائه وقدره**، فإن كل ما يصيب الإنسان من المصائب فإنها من عند الله تعالى، يبتلي بذلك عبده ويختبره، أو تكون عقوبة وكفَّارة لما فعله من الذنوب، فكان الواجب على العبد أن يتأدب مع الله تعالى في قضائه وقدره، فيصبر، ولا يعترض، فما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.[1]

اللوح المحفوظ — نخلق الخليقة

٢ الصبر يؤدي إلى قوة العزيمة، وحسن التعامل مع المصيبة، والسعي في تلافيها، ويعجِّل بالفَرَج، وأما الجزع فإنه يؤدي إلى ضعف العزيمة، وسوء التعامل مع المصيبة، واستمرارها، وتأخر الفَرَج.

٣ الصبر طريق إلى رضا العبد عن ربه جلَّ وعلا، وإذا رضي العبد بما قدر الله تعالى أورثه ذلك رضا الله تعالى عنه، ومن رضي الله عنه فله السعادة التامة في الدنيا والآخرة.

نشاط ١

من خلال ما سبق، بيِّن الحكمة من وقوع المصائب.

إذا وقعت المصيبة بالمسلم، فإنها:

أ إما أن تكون .. ابتلاء من الله واختبار لعبده .....

ب وإما أن تكون .. عقوبة وكفارة لما فعله من الذنوب .....

مكانةُ الصبر

للصبر مكانة عظيمة مِن الدِّين؛ وذلك: أن الإنسان لا يمكنه أن يعبد الله إلا بالصبر، سواء أكان صبرًا على طاعة الله، أو صبرًا عن معصيته، أو صبرًا على أقداره المؤلمة، ولهذا كثر الأمر بالصبر في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولعظم مكانة الصبر قالَ ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّبْرُ نِصْفُ الإيمانِ»[2]، وقال العلماء: (الإيمانُ نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر)[3]، ومعنى ذلك: أن المسلم متقلِّبٌ بين نِعمٍ يجب شُكرها، وأحوالٍ يجب الصبر عليها.

---

(١) سورة الحديد آية ٢٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠٤/٩، والحاكم ٤٤٦/٢، وصححه، وصححه ابن حجر (تغليق التعليق ٢٢/٢، وفتح الباري ٤٨/١، أول كتاب الإيمان.

(٣) ينظر: عدة الصابرين لابن القيم ص١٤٠، وفيه شرح هذه الجملة وبيان معناها مفصلاً.

فضل الصّبر والترغيب فيه

لقد رَغَّب الشرع في الصبر، وبيَّن له فضائل كثيرة، منها:

١ **الصابرون يوفَّوْنَ أجرَهم بغير عدٍّ ولا إحصاء**، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

يؤجرون بلا عَدٍّ ولا تقدير

٢ **محبة الله تعالى للصابرين**، قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.[٢]

٣ **معيّة الله الخاصة للصابرين**، قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.[٢]

٤ **الصبرُ خيرٌ لأصحابه**، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[٤]، وقال ﷺ: «ما أُعطِي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعُ من الصبر».[٥]

٥ **الصبر يدل على صدق العزيمة**، قال الله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٦].

(١) سورة الزمر آية ١٠.
(٢) سورة آل عمران آية ١٤٦.
(٣) سورة الأنفال آية ٤٦.
(٤) سورة النحل آية ١٢٦.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر برقم (١٠٥٣).
(٦) سورة لقمان آية ١٧.

عقوبة الجزع والتَّسخُّط

للجزع عند المصيبة وترك الصبر أو التصبر عقوبات متعددة، منها:

١ سَخَطُ الله تعالى على العبد الذي يجزع، ويترك الصبر على المقدور، فعن أنسٍ رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». (١)

٢ العقاب الشديد في نار جهنم، فعن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». (٢)

مرض يصيب الجلد — عصارة شجر الأبهل (٣) — قميص

نشاط ٢

اذكر مثالين للصبر على الطاعات.

١ تحمل مشقة وتعب الطاعات من صلاة وصيام وحج....

٢ الصبر على بر الوالدين مهما فعلا.....

ومثالين للصبر عن المعاصي.

١ مفارقة كل ما يساعد على المعاصي، وقطع العادات....

٢ حبس النفس عن متابعة الشهوات، وعن الوقوع فيما حرم الله.

ثمراتُ الصبر

للصبر ثمرات منها:

١ هداية القلب.

٢ طمأنينة النفس.

٣ راحة البال.

قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)، قال علقمةُ رحمه الله: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم.

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصَّبرِ على البلاءِ برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصَّبرِ على البلاءِ برقم (٤٠٣١)، قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب التَّشديدِ في النِّياحة ٢/٦٤٤(٩٣٤).

(٣) سورة التغابن آية ١١.

نشاط ٣

بالتعاون مع زميلك، اذكر ثلاث ثمرات أخرى للصبر.

١- سبب للعون والنصرة والمدد من عند الله تعالى وقهر الأعداء، قال تعالى: (بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) (سورة آل عمران آية ١٢٥).

٢- يجلب محبة الله تعالى ومعيته فالله تعالى يحب الصابرين وهو معهم بلطفه ورحمته وعونه وتأييده لهم، قال تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (سورة آل عمران آية ١٤٦).

٣- النعيم المقيم في جنة عرضها السماوات والأرض يزينها ترحيب الملائكة الأبرار، قال تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (سورة الرعد آية ٢٣-٢٤).

التقويم

س١ عرِّف الصبر.

المراد بالصبر على أقدار الله المؤلمة: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها.

س٢ ما حكم الصبر؟ مع الدليل.

حكم الصبر: الصبر واجب بإجماع العلماء؛ والدليل على هذا: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: ((اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي)).

س٣ ما ثمرات الصبر ؟

١- هداية القلب.
٢- طمأنينة النفس.
٣- راحة البال، قال تعالى: "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".

التقويم

س٤ بيِّن عقوبة الجزع والتَّسخُّط عند المصائب .

للجزع عند المصيبة وترك الصبر أو التصبر عقوبات متعددة، منها:

١- سخط الله تعالى على العبد الذي يجزع، ويترك الصبر على المقدور، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ) رواه الترمذي وحسنه.

٢- العقاب الشديد في نار جهنم، فعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أَنَّ النَّائِحَةَ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تَلْبَسُ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ".

س٥ ما علاقة الصبر بالإيمان بالقدر ؟

علاقة الصبر بالإيمان بالقدر: الصبر طريق إلى رضا العبد عن ربه جل وعلا، وإذا رضا العبد بما قدر الله تعالى أورثه ذلك رضا الله تعالى عنه، ومن رضي الله عنه فله السعادة التامة في الدنيا والآخرة، كما أن للصبر مكانة عظيمة من الدين؛ فالإنسان لا يمكنه أن يعبد الله إلا بالصبر، سواء أكان صبراً على طاعة الله، أو صبراً على معصيته، أو صبراً على أقدار الله المؤلمة، فعن عبد الله بن مسعود -ﷺ-: "الصَّبر نصف الإيمان"، وقال العلماء: "الإيمان نصفان: نصف صبرٍ، ونصف شكرٍ".

معلومات إثرائية

قال ابن القيم رحمه الله:

(الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها)[1].

(١) مجموع الفتاوى ٨ ج ص ١٧٩.

تمهيد

ما من أحدٍ إلا ويتعرض للمصائب، ولكن الناس تختلف مواقفهم عند ذلك.

- فما مراتب الناس عند المصائب؟

الناس حال وقوع المصائب الدنيوية على أربع مراتب:

الجزع والتسخط – الصبر – الرضا – الشكر والحمد.

- وما الحال التي ينبغي أن يكون عليها المسلم عند المصيبة؟

على المصاب أن يسترجع ويصبر ويحتسبها عند الله ثم يركن إلى الله - تعالى- رجاء أن يخلف الله عليه ويعوضه عن مصابه.

واجباتي

مراتبُ الناسِ عندَ المصيبة

الناس حال وقوع المصائب الدنيوية على أربع مراتب:

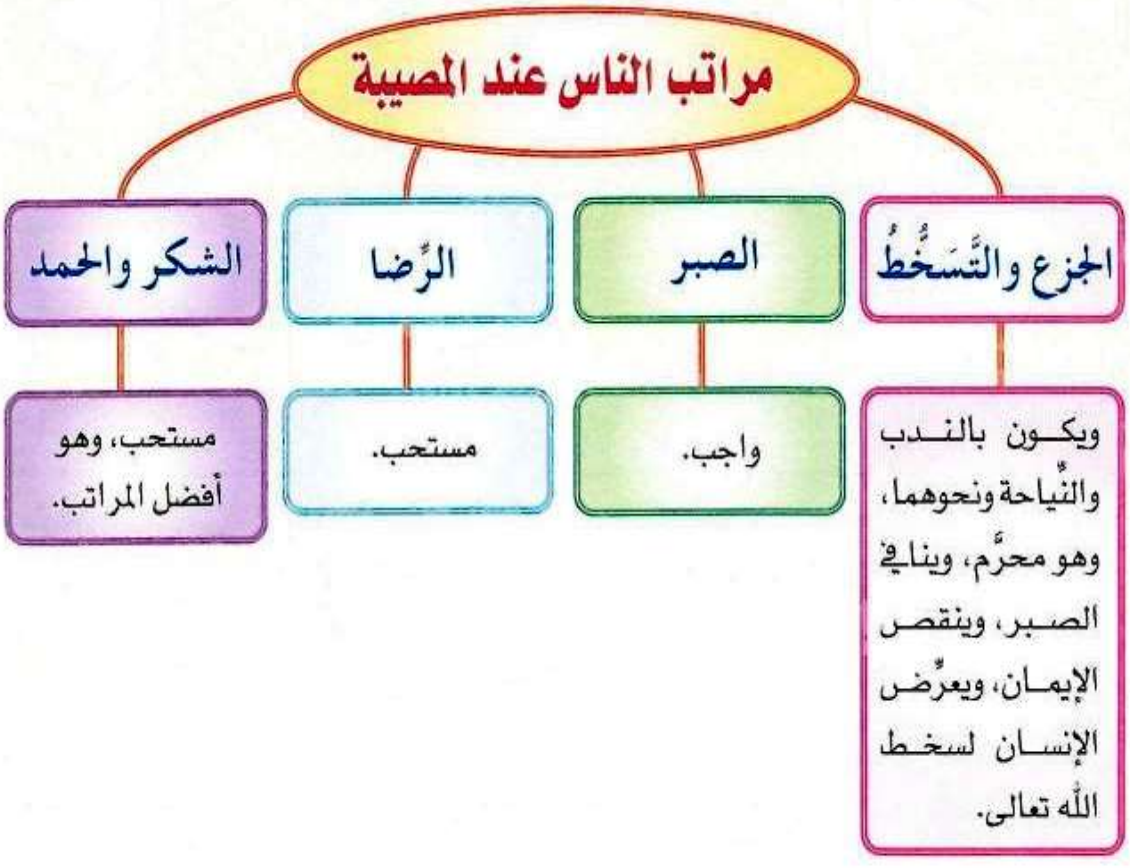

بم يكون الصبر؟

الصبر على أقدار الله المؤلمة يكون بالقلب، واللِّسان، والجوارح:

فصبر القلب: بترك الجزع، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[1]، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم.

وصبر اللِّسان: بترك التشكي والندب والنِّياحة.

والندب: رفع الصوت بتعداد فضائل الميت ومحاسنه، والتوجع والتفجع على فراقه، **والنِّياحة:** رفع الصوت بالبكاء على الميت، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنِّياحة على الميت»، والمراد بالكفر هنا: الكفر الأصغر الذي لا يخرج عن الإسلام، ووصفها بالكفر يدل على أنها من الكبائر.

نشاط ١

بالتعاون مع زميلك، اذكر أمثلة أخرى من واقعك تدل على عدم صبر اللِّسان عند المصيبة.

١. يتحدث باللسان بما يُسخط الله.
٢. عدم حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله تعالى كأن يدعو بالويل والثبور.
٣. أن يسب الدهر فيؤذي الله- عز وجل- وما أشبه ذلك.

وصبر الجوارح: بترك لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك عند المصيبة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

ندب الميت: وقيل: هو الدعاء بالويل والثبور

حكم البكاء من غير جزع

البكاء حزنًا على الميت أو المفقود من غير ندب ولا نياحة، أو البكاء على وجه الرحمة والرأفة جائز، ولا ينافي الصبر ولا الرضا بقضاء الله.

(١) سورة التغابن آية ١١.

واجباتي

والدليل على هذا: حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال عندما دَخَلَ على ولده إِبْرَاهِيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».(١)

نشاط ٢

لخص حالات الصبر :

١ الصبر بالقلب: وهو بترك الجزع، قال تعالى: "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".

٢ الصبر باللسان: وهو بترك التشكي والندب والنياحة.....

٣ الصبر بالجوارح: وهو بترك لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك عند المصيبة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ".

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» برقم (١٢٠٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ على الصِّبْيَانِ وَالْعِيَالِ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ برقم (٢٣١٥).

التقـــويم

س١ اذكر مراتب الناس عند المصيبة حسب أفضليتهم .

١- الشكر والحمد، وهو أفضل المراتب.
٢- الرضا.
٣- الصبر.
٤- الجزع والتسخط.

س٢ ما حكم الجزع والتسخط عند المصيبة ؟ ولماذا ؟

الجزع والتسخط عند المصيبة محرم؛ لأنه ينافي الصبر، وينقص الإيمان، ويعرض الإنسان لسخط الله تعالى.

س٣ ما حكم البكاء من غير جزع ؟ مع الدليل .

البكاء من غير جزع؛ كالبكاء حزنا على الميت أو المفقود من غير ندب ولا نياحة، أو البكاء على وجه الرحمة والرأفة فهو؛ جائز، ولا ينافي الصبر ولا الرضا بقضاء الله.

والدليل على هذا: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال عندما دخل على ولده إبراهيم ﷺ وهو يجود بنفسه: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) متفق عليه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» برقم (١٢٠٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ على الصِّبْيَانِ وَالْعِيَالِ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ برقم (٢٣١٥).

معلومات إثرائية

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله به: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها»، فلما مات أبو سلمة، قالت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ)[٢].

(٢) أخرجه مسلم برقم ٩١٨.

الدرس الخامس ٥

ما يعين على الصَّبر

تمهيد

بعد أن تعلمنا الصبر وفضله ومكانته وأحكامه، هناك أسباب تعين على التحلي به.

ما يعين على الصَّبر

مِمَّا يعين المسلم على الصبر ما يأتي:

١ معرفة أن المصيبة من علامات إرادة الله الخير بالإنسان.

والدليل على هذا:

يبتليه

أ حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ منه». (١)

ب حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». (٢)

وإنما كان تعجيل العقوبة في الدنيا خيرًا له؛ لأن المصائب تكفِّر الذنوب، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليه، وكان تأخير العقوبة للمذنب حتى يوافي به يوم القيامة من الشر؛ لما فيه من اجتماع العقوبة عليه في الآخرة.

٢ معرفة أن المصائب في ذاتها تكفر الذنوب، وإذا صبر المسلم عليها نال ثواب الصابرين.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» (٣)، ومعنى الحديث: أن من كان ابتلاؤه أعظم كان ثوابه أكثر.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المَرْضَى، باب ما جاء في كَفَّارَةِ المَرَضِ ٥/٢١٣٨(٥٣٢١).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصَّبرِ على البلاءِ ٤/٦٠١(٢٣٩٦)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٧/٢٤٧(٤٢٥٤). والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/٦٥١، قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨)، وأورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٢٠).

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصَّبرِ على البلاءِ برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصَّبرِ على البلاءِ برقم (٤٠٣١)، قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٦).

نشاط ١

بالتعاون مع زميلك، مثّل على بعض المصائب التي تصيب الإنسان، وما الدليل على ثواب الصابرين من القرآن الكريم.

كثيرة هي المصائب التي تصيب المسلم من ظلم ظالم، أو ضيق رزق، أو ضياع أمل، أو فقدان عزيز، وخلاف ذلك كثير من مصائب الدنيا ومنغصاتها، فالإنسان معرّض للاختبار بالعديد من الابتلاءات قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧). فيخبرنا الله تعالى بأنّه سيختبرنا، فهل نصبر على قليل من الخوف و الجوع، وفقدان بعض الأموال والأهل و نقص في النباتات والزرع وغيرها من حوائج الإنسان؟ أم لا! والمصائب التي تصيب المؤمن ما هي إلا رحمة من الله لأنّها كفّارة للذنوب و يجب على المصاب أن يحسن الظنّ بالله تعالى فلا ييأس ولا يسخط ويطلب الرحمة والمغفرة من الله في كل وقت.

قال رسول الله: (ما يُصيبُ المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذىً ولا غَمٍّ، حتّى الشوكة يُشاكها إلاّ كفَّرَ اللَّهُ بِها من خطاياهُ) حديث صحيح، متفق عليه. وقال رسول الله ﷺ (ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنَةِ في نَفْسِهِ وولَدِهِ ومالِهِ حتّى يَلقى اللَّه تعالى وما عليهِ خَطِيئةٌ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ثواب الصابرين من القرآن الكريم:

١. أن كل الأعمال يعرف ثوابها إلا الصبر فإن الله يوفى الصابرين أجورهم بغير حساب قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ} [الزمر: ١٠].

نشاط ١

٢. أن الله سبحانه وتعالى يحب الصابرين قال تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦].
٣. أن الصابرين في معية الله- عز وجل- ومن كان الله معه فقد ظفر ونجى من كل بلى، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣].
٤. أكد الله سبحانه وتعالى أن الصبر فيه خير لأهله، قال تعالى: {وَلَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَيرٌ لِلصَابِرِينَ}.
٥. ووعد الله الصابرين أن يؤتيهم أجرهم مرتين، فقال: (وْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [القصص: ٥٤].
٦. الصابرون تنالهم رحمة الله وصلواته، وهم المهتدون للخير والصواب، قال الله تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة: ١٥٥-١٥٧].
٧. خص الله تعالى الصابرين بأمور ثلاثة لم يخص بها غيرهم وهي: صلاته عليهم ورحمته لهم وهدايته لهم، قال تعالى: {وَبَشّرِ الصّابِرِينَ * الّذِينَ إذا أصَابَتهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إنّا للهِ وَإنّا إلَيهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيهِم صَلَواتٌ مِن رّبِهِم وَرَحمَةٌ وَأولئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ}.
٨. أن الله سبحانه وتعالى قد علق الفلاح في الدنيا والآخرة بالصبر، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].
٩. أن للصابرين حظوظ عظيمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ}،{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}.
١٠. بشر الله الصابرين بصبرهم على البلاء، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}.

٣ معرفة أن وقوع البلاء بالإنسان من علامات محبة الله له.
يدل على ذلك الحديث السابق: «وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ».

٤ استصغار المصيبة، لأنه ما من مصيبة إلا وهناك أكبر منها، فيحمد المسلم ربه على أن لم تكن أكبر منها، والنظر في واقع الناس المبتلين يخفف هذا، فكل من ابتلي بشيء فسيجد من ابتلي بما هو أشد منه.

اذكر أمثلة على تفاوت المصائب.

الابتلاء سنة عامّة لا ينجو منه مؤمن قط ، وإن كان ما يصيب العباد من البلاء متفاوتاً بحسب قوة إيمان العبد وضعفه؛ ففِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ}. وَعَنْ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: { قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلِ مِنْ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسْبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ}.

وقد يكون الابتلاء بالغير أو بالخير والشر.

فمن أصعب صور الابتلاء بالغير أن يبتلى المرء في أقرب الناس إليه؛ وهم أهله وولده، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} [الفرقان: ٢٠]، وقال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٢٨].

كما يكون الابتلاء بالخير تارةً وبالشر تارةً أخرى، وقد يكون بهما معاً، قال تعالى: {وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: ١٦٨]،

نشاط ٢

وقال سبحانه: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥]، وعلى المؤمن أن يوطن نفسه على مقابلة الابتلاء في كلتي الحالتين على مرضاة الله التي في تحصيل سعادة الدارين، وبذلك يحوز خير الخيرَين، وأفضل الأمرين.

فما من عبدٍ لله طوعاً أو كرهاً إلا وهو معرّضٌ لأن يُبتلى فيما آتاه الله من أوجه النعماء، قال تعالى: "لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ" [المائدة: ٤٨]، فما أوتي أحد نعمة إلا كانت ابتلاء له واختباراً لشكره أو صبره، فالغني يبتلى بغناه والفقير يبتلى بفقره، والقوي يبتلى بقوته والضعيف يبتلى بضعفه، والعالم يبتلى بعلمه والجاهل يبتلى بجهله، وهكذا ... فكلنا مبتلى، وإلى أقدارنا سائرون، قال عز وجل: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥].

٥ نظر المصاب إلى ما بقي عنده من النعم الدينية والدنيوية، من المال والأهل والولد، والصحة والعافية، والسلامة في الدين، فمهما كانت المصائب، فما بقي للإنسان أكثر مما فاته؛ لأن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى.

٦ النظر إلى أن المصيبة لم تكن في الدِّين.

فمهما ابتلي الإنسان في بدنه أو ماله أو ولده أو غير ذلك من أمور الدنيا، فليحمد الله أن لم يُصَب في دِينه كتوحيده، وصلاته، وطاعته لربه جلَّ وعلا، واستقامته على دِينه، وبعده عن أحوال الضالين والمنحرفين، فالدنيا مهما بقيت فهي إلى زوال كامل، وأمر الآخرة هو الأساس والباقي للإنسان.

٧ **النظر إلى أن عامة المصائب والابتلاءات تأتي عارضة في زمن ثم تنقضي**، فما هو إلا صبر يسير بالنسبة للعمر، ويعقبه ثواب كثير، ولينظر الإنسان إلى حاله قبل البلاء، فقد كان في عافية زمنًا طويلاً، وإلى ما ينتظره بعد البلاء من عافية وأجر.

٨ **إدراك فضائل الصابرين**، وتذكر ما أعده الله لهم من النعيم المقيم، والثواب الجزيل.

بالتعاون مع مجموعتك: حدِّد - مما مضى -أهم ثلاثة عناصر تعين على الصبر في نظرك:

١- معرفة أن وقوع البلاء بالإنسان من علامات محبة الله له، ويدل على ذلك قوله ﷺ: "وإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ".

٢- استصغار المصيبة؛ لأنه ما من مصيبة إلا وهناك أكبر منها، فيحمد المسلم ربه على أن لم تكن أكب منها، والنظر في واقع الناس المبتلين يخفف هذا، فكل من ابتلى بشيء فسيجد من ابتلى بما هو أشد منه.

٣- إدراك فضائل الصابرين، وتذكر ما أعده الله لهم من النعيم المقيم، والثواب الجزيل.

(١) أخرجه أحمد ١/١٧٢، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصَّبْرِ على البلاء ٤/٦٠١ (٢٣٩٨)، وصححه ابن حبان ٧/١٨٣(٢٩٢٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة ١/٢٢٥(١٤٣).

(٢) سورة الأحقاف آية ٣٥.

واجباتي

معرفةُ أخبار الصابرين والاطلاع على أحوالهم

مِن أعظم ما يعين على الصبر: معرفة أحوال المبتَلين، وصبرهم، وأشدُّ الناس بلاءً هم الأنبياء عليهم السلام، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسُولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أشدُّ بَلَاءً؟ قال: «الأَنبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِه؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِه صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِه، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». (١)

ولهذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاقتداء بأولي العزم من الأنبياء عليهم السلام، في صبرهم، فقال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (٢).

ومن صور صبر الأنبياء عليهم السلام ما يلي:

١ صَبْرُ رسولنا ﷺ في مواقف كثيرة، منها: يوم أُحُد، حيث شُجَّ رأسُه، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُه، وَقُتِلَ عمه حمزة رضي الله عنه، وكثيرٌ من أجلَّاء أصحابه رضي الله عنهم، فصبر عليه الصلاة والسلام.

(١) أخرجه أحمد ١/١٧٢. والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصَّبْرِ على البلَاء ٤/٦٠١ (٢٣٩٨)، وصححه ابن حبان ٧/١٨٣ (٢٩٢٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة ١/٢٢٥ (١٤٣).

(٢) سورة الأحقاف آية ٣٥.

٢ صَبْرُ نَبِيِّ اللّٰه إبراهيم عليه السلام على تكذيب قومه وإيذائهم له، حتى إنهم أوقدوا له نارًا عظيمةً ثم رموه فيها عليه السلام، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا.

٣ صَبْرُ نَبِيِّ اللّٰه موسى عليه السلام على بني إسرائيل، حيث آذوه، وعَصَوْهُ، واتهموه بما هو بريء منه، فبرَّأه الله تعالى مما قالوه.

٤ صَبْرُ نَبِيِّ اللّٰه أيوب عليه السلام على فَقْدِ ماله وولده، وما أصيبَ به مِن المرض.

٥ صَبْرُ نَبِيِّ اللّٰه يعقوب عليه السلام على فَقْدِ ولده يوسف عليه السلام سنوات طويلة، ثم على العَمَى الذي أصابه بسبب الهمِّ والحزن والبكاءِ على ولده.

التقويم

س١ لماذا كانت المصيبة من علامات إرادة اللّٰه الخير بالإنسان؟

لأن المصائب تكفر الذنوب، وتدعوا إلى الصبر فيثاب عليه، وكان تأخير العقوبة للمذنب حتى يوافي به يوم القيامة من الشر؛ لما فيه من اجتماع العقوبة عليه في الآخرة. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ ".

التقـــويم

س٢ ما الدليل على المصائب كفَّارة؟

الدليل على أن المصائب كفارة للذنوب، فعن أنس ﷺ أنِ النّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».

س٣ هل المصيبة من علامات محبة الله بعبده؟ مع الدليل.

نعم؛ وقوع البلاء بالإنسان من علامات محبة الله له. يدل على ذلك قوله في حديث أنس رضي الله عنه أنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».

س٤ ما معنى قول النبي ﷺ «مَنْ يُرِدِ اللَّـهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»؟

أي: يبتليه بالمصائب والمحن ليرفع درجاته ويزيد في حسناته على ما يكون من صبره واحتسابه، وأن المصيبة من علامات إرادة الله الخير بالإنسان، وأن تعجيل العقوبة في الدنيا خيراً له، لأن المصائب تكفر الذنوب، وتدعوا إلى الصبر فيثاب عليه.

معلومات إثرائية

عن الشعبي، قال شريح:

(إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني)[1].

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٠٥.

الدرس السادس ٦

استعمال (لَوْ) في الكلام

تمهيد

- الرضا بقضاء الله وقدره واجب، والاعتراض عليه والتسخط منه حرام.
- من العبارات الدارجة في الاستعمال عند حصول مصيبة (لَوْ) حصل كذا لما كان كذا؛ فما حكمها؟

أنواع استعمال (لَو) في الكلام

استعْمال (لَوْ) في الكلام على نوعين:

النوع الأول: استعمالٌ محرَّمٌ، وله صورتان:

أ) استعْمالها في أمر ماضٍ على وجه التَّسَخُّطِ مِنَ القضاء والقَدَرِ، كاستعمالها عند حلول المصائب.

مثال ذلك:

- لو لم يسافر فلان ما مات.
- لو لم يذهب مع فلان لم يصبه حادث السيارة.

ب) استعْمالها في أمرٍ مستقبلٍ تَمنِّيًا للشَّرِّ، مثل: لو كان لي سُلْطَةٌ لضربتُ فلانًا، واستوليتُ على ماله.

والدليل على تحريمه: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».[1]

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله برقم (٢٦٦٤).

النوع الثاني: استعمالٌ جائزٌ، وله صورتان:

أ) استعمالها في أمر ماضٍ لا على وجه التَّسَخُّطِ مِنَ القضاء والقَدَرِ، وإنما يحمل عليه الرغبة في الخير، أو الندم على فوات الطاعة.

مثال ذلك:

- لو حضرتُ المحاضرةَ بالأمسِ لاستفَدتُ.
- لو ذاكرتَ دروسك لم ترسب.

ب) استعمالها في أمرٍ مستقبلٍ تَمنِّيًا للخير، مثل: لو رزقني الله مالاً لأنفقت منه في وجوه الخير.

والدليل على جوازه: حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبِيَّ ﷺ قال في حجِّه: «لو أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِن أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لم أَسُقْ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً».(١)

نشاط ١

اذكر مثالاً لاستعمال (لو) المحرم ، ومثالاً لاستعمال (لو) الجائز مما ليس في الأمثلة الواردة في الكتاب .

الاستعمال	المثال
(لو) المحرمة	رجل حرص أن يشتري شيئا يظن أن فيه ربحا فخسر، فقال: لو أني ما اشتريته ما حصل لي من خسارة، فهذا ندم وتحسر، ويقع كثيرا، وقد نهي عنه.
(لو) الجائزة	لو زرتني لأكرمتك أو لو علمت بك لجئت إليك.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، بَابٌ: تقضي الحائضُ المناسكَ كلَّها إلا الطَّوافَ بالبيتِ برقم (١٦٥١). ومسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨). وهذا لفظه.

الحكمة من النهي عن استعمال (لَو)

نهى الشرع عن استعمال (لَوْ) لحِكم منها:

١ ما تضمنه استعمالها مِن التَّسَخُّطِ على قضاء الله وقدره، وعدم الصبر عليه، والرضا به، وهو مما ينقص كمال التوحيد الواجب، لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، والاعتراض على قضائه وقدره.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، بَابٌ: تقضي الحائضُ المناسكَ كلَّها إلا الطَّوافَ بالبيتِ برقم (١٦٥١). ومسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨). وهذا لفظه.

٢ أن استعمال (لَوْ) يفتح عمل الشيطان، ففي قولها انسياقٌ وراء خُطوات الشيطان الذي يدعو قائلها إلى الجزع والتسخط مِن القضاء والقَدَر.

٣ أنه لا نفع في استعمالها على هذا الوجه، بل فيه مضرة.

استعمال (لو) في الاعتراض على القدر من صفات المنافقين

مِن صفات المنافقين: التحسُّر على ما يصيبهم مما قدَّره الله تعالى، كما فعلوا ذلك عندما وقعت الهزيمة للنَّبيِّ ﷺ في (غَزوةِ أُحُد)، فتحَسَّروا على مَن قُتل في المعركة، وزعموا أنهم لو لم يخرجوا لما قتلوا، فردَّ الله تعالى عليهم، وبيَّن فساد قولهم، وأن ما قدَّره الله تعالى كائن لا محالة، سواء خرج الإنسان أم قَعَدَ في بيته:

١ قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(١).

٢ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٢).

البديل الشرعي لاستعمال (لو) فيما مضى من الأقدار

السنة للمسلم عند حلول المصائب أن يقول:

أ «قَدَرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ»، وفي هذا غاية التسليم والرِّضا بما قدَّر الله وقضى، وفيه إغلاق للباب على الشيطان الرجيم.

ب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.(٣)

ت ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(٤)، ويُسَمَّى: الاسْتِرْجَاعُ.

ث «اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا»(٥).

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٨.

(٣) ورد في مشروعية الحمد عند المصيبة أحاديث، ينظر: مسند أحمد ٣/٨٦(١٤٩٢)، و ٣٢/٥٠٠(١٩٧٢٥)، وسنن الترمذي في أبواب الجنائز، بَابُ فَضْلِ المُصِيبَةِ إِذَا احْتُسِبَ برقم (١٠٢١)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١٤٠٨).

(٤) لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ سورة البقرة آية ١٥٦، ومعنى هذه الكلمة: أنَّا عبيدٌ لله وملكٌ له، وليس لنا مِن أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف بمماليكه وأموالهم بما يشاء فلا اعتراض عليه وهذا تسليم لقضاء الله ورضا بأقداره، وهو جلَّ في علاه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، ونحن مآلنا ومرجعنا إليه في الدار الآخرة، فيثيبنا على صبرنا جلَّ في علاه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، بَاب ما يُقَالُ عِنْدَ المُصِيبَةِ برقم (٩١٨)، قالَ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقول (مَا أَمَرَهُ الله): ﴿فَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ الله في مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا منها».

نشاط ٢

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال النبي ﷺ «ثكلتكَ أمُّك يا معاذ، وهل يكبُّ الناس على وجوههم في النارِ أو قالَ: على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم؟»[1].

اقرأ هذا الحديث، ثم بين علاقته بموضوع الدرس (لو كان كذا لكان كذا وكذا).

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّمُ به؟ قال: "ثكِلتك أمُّك يا معاذ، وهل يُكِبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهم،أو قال:على مناخرِهم: إلَّا حصائدُ ألسنتِهم؟".

علاقة الحديث بموضوع الدرس (لو كان كذا لكان كذا وكذا)..

الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم.

بيان خطورة اللسان، فاللسان من أخطر ما يكون، فإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرًّا من قول أو عمل حصد غدًا الندامة.

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٣١، ٢٣٧، والنسائي في السنن الكبرى ٦/٤٢٨ (١١٣٩٤)، والترمذي ٥/١١ (٢٦١٦)، وابن ماجه ٢/١٣١٤ (٣٩٧٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/٤٤٧، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٦٦).

التقويم

س١ ما أنواع استعمال كلمة (لو) ؟ ، مثِّل بمثال لكل نوع .

النوع الأول: استعمال محرم، وله صورتان:

أ. استعمالها في أمر ماض على وجه التسخط من القضاء والقدر، كاستعمالها عند حلول المصائب، **مثل:** لو لم يسافر فلان ما مات.

ب. استعمالها في أمر مستقبل تمنياً للشر، **مثل:** لو كان لي سلطة لضربت فلاناً، واستوليت على ماله.

النوع الثاني: استعمال جائز، وله صورتان:

أ. استعمالها في أمر ماض لا على وجه التسخط من القضاء والقدر، وإنما يحمل عليه الرغبة في الخير، أو الندم على فوات الطاعة، **مثل:** لو ذاكرت دروسك لم ترسب.

ب. استعمالها في أمر مستقبل تمنياً للخير، **مثل:** لو رزقني الله مالاً لأنفقت منه في وجوه الخير.

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٣١، ٢٣٧، والنسائي في السنن الكبرى ٦/٤٢٨ (١١٣٩٤)، والترمذي ٥/١١ (٢٦١٦)، وابن ماجه ٢/١٣١٤ (٣٩٧٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/٤٤٧، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٦٦).

التقويم

س٢ ما الحكمة من النهي عن استعمال كلمة (لو)؟

١- ما تضمنه استعمالها من التسخط على قضاء الله وقدره، وعدم الصبر عليه، والرضا به، وهو مما ينقص كمال التوحيد الواجب، لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، والاعتراض على قضائه وقدره.

٢- أن استعمال (لو) يفتح عمل الشيطان، ففي قولها انسياق وراء خطوات الشيطان الذي يدعو قائلها إلى الجزع والتسخط من القضاء والقدر.

٣- أنه لا نفع في استعمالها على هذا الوجه، بل فيه مضرة.

س٣ بيِّن البديل الشرعي لاستعمال كلمة (لو) فيما مضى من الأقدار.

فالسنة للمسلم عند حلول المصائب أن يقول:

أ. "قدر الله وما شاء فعل" وفي هذا غاية التسليم والرضا بما قدر الله وقضى، وفيه إغلاق للباب على الشيطان الرجيم.

ب. "الْحَمْدُ للهِ".

ج. "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"، ويسمى: الاسترجاع.

د. "اللَّهُمَّ أْجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا".

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٣١، ٢٣٧، والنسائي في السنن الكبرى ٦/٤٢٨ (١١٣٩٤)، والترمذي ٥/١١ (٢٦١٦)، وابن ماجه ٢/١٣١٤ (٣٩٧٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/٤٤٧، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٦٦).

معلومات إثرائية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقًا على قول النبي ﷺ: « لو أني فعلت لكان كذا وكذا» : (فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله ونهانا عن العجز الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء أن لا ييأس على ما فاته، بل ينظر إلى القدر ويسلم الأمر إلى الله، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه فما فيه حيلة لا تعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه)[٢].

(٢) الفتاوى ج ٨ ص ٢٨٥.

الوحدة الثانية

نِسْبَةُ النِّعم لغير اللّه

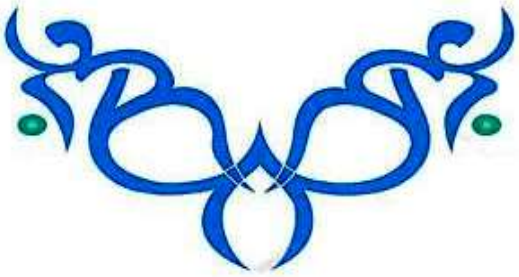

دروس الوحدة

- الدرس السابع:
  نِسْبَةُ النِّعم لله.
- الدرس الثامن:
  نِسْبَةُ النِّعم لغير الله.
- الدرس التاسع:
  نِسْبَةُ النِّعم إلى النَّفْس.

واجباتي

الأهداف

أخي الطالب يتوقع منك بعد دراسة هذه الوحدة أن :

١. تنسب النعم لله.
٢. تبيّن معنى نسبة النعم لغير الله ، وتبيّن صورها.
٣. توضّح حكم نسبة النعم لغير الله ، مع الدليل .
٤. تحرص على نسبة النعم لله تعالى وحده .
٥. تعدّد صور نسبة النعم للنفس ، وحكمها ، مع الاستدلال .

الدرس السابع ٧

نِسْبَةُ النِّعم لله

تمهيد

اللَّه تعالى هو المنعم على عباده، فالواجب علينا نسبة جميع النعم إليه، والحذر من نسبتها إلى غيره.

وجوب إضافة جميع النِّعم إلى الله تعالى

يجب إضافة جميع النعم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه هو المنعم على جميع خلقه، فلا أحد سواه ينعم عليهم، وأما العِباد فهم أسباب يُجري الله تعالى النِّعم على أيديهم متى شاء، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[1]، ولا يكون العبد موحِّدًا حتى ينسب جميع النعم إلى الله تعالى بقلبه ولسانه.

ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة

سوء الحال بنقص في الأموال أو الأنفس أو الثمرات

(١) سورة النحل آية ٥٣.

نعم الله لا تُعَدُّ ولا تُحصى

نِعم الله تعالى على عباده كثيرة جدًّا، لا يمكن لأحد أن يعدَّها أو يحصيها[1]، قال الله تعالى مذكِّرًا بذلك: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

شُكر الله على النعم وحقيقته

يجب شكر الله تعالى على جميع نِعَمِه، قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[5].

والشكر الكامل يتحقق بوجود ثلاثة أركان:

1. اعتراف القلب بنعمة الله، واستشعاره أن كل نعمة فهي من الله جل وعلا.
2. إقرار اللِّسان بالنِّعمة، وثناؤه على الله تعالى بنعمه كلها.
3. استعمالُ النِّعمة في طاعة الله، وتجنُّب استعمالها في معصيته.

(١) يعني: لا يمكن أن يُحصر عددها لكثرتها.
(٢) سورة إبراهيم آية ٣٤.
(٣) سورة النحل آية ١٨.
(٤) سورة البقرة آية ١٥٢.
(٥) سورة النحل آية ١١٤.

نشاط ١

بالتعاون مع مجموعتك: عدِّد ثلاثًا من نعم الله عليك، ثم بيِّن كيف يكون شكرها الشكر الكامل:

	النعمة	كيفية شكرها
١	نعمة الإسلام والإيمان	١- محبة الله على نعمه. ٢- الاعتراف بنعمة الله والتحدث بها، واستخدامها في طاعة الله. ٣- كثرة ذكر الله فهي أعظم الأعمال على الإطلاق وأفضلها للتقرب إلى الله.
٢	نعمة الصحة والعافية	١- اعتراف العبد بنعمة الله عليه على وجه الخضوع. ٢- الثناء عليه سبحانه وتعالى بهذه النعم، أي الثناء على المحسن بذكر إحسانه. ٣- الاستعانة بهذه النعم على مرضاة الله وأن لا يستعملها فيما يكره.
٣	نعمة الرزق	١- الاعتراف بالنعم للمنعم، وأنها منه وبفضله. ٢- أن يسجد لله شكراً عند تجدد النِعَم. ٣- الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها واستعمالها في وجوه الخير.

(١) يعني: لا يمكن أن يُحصر عددها لكثرتها. (٢) سورة إبراهيم آية ٣٤.
(٣) سورة النحل آية ١٨. (٤) سورة البقرة آية ١٥٢.
(٥) سورة النحل آية ١١٤.

شُكر الناس

شُكر الله تعالى على نعمه، وإضافتها إليه، لا يعني التنكُّرَ للمعروف، وجحدَ الناس ما أحسنوا به، بل إن مِن تمام الإيمان شكرَ الناس على إحسانهم، والثناءَ عليهم به، والدعاءَ لهم، وتركَ الجفاء معهم، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن لم يَشْكُرِ النَّاسَ لم يَشْكُرِ اللهَ عزَّ وَجَلَّ».(١)

نشاط ٢

بالتعاون مع مجموعتك: عدِّد ثلاثة أمثلة على شكر الناس من واقعك:

١- شكرهم على إحسانهم وعدم جحد ما أحسنوا به وذكره، قال -ﷺ: "مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ".

٢- الدعاء لهم، قال -ﷺ-: "مَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ".

٣- الثناء عليهم، وترك الجفاء معهم، قال -ﷺ-: "مَنْ أَوْلَى مِنْكُمْ مَعْرُوفًا فَلْيكَافِئْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَذْكُرْهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ تَشَبَّعَ بِمَا لَمْ يَنَلْ كَانَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ".

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٥٨، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في شُكْر المَعْرُوف برقم (٤٨١١)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشُّكْر لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ برقم (١٩٥٤)، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. والبخاري في الأدب المفرد ص٨٥(٢١٨)، وصححه ابن حبان ٨/١٩٨(٣٤٠٧)، والألباني في صحيح الجامع (٦٦٠١).

التقويم

س١ ما الدليل على وجوب إضافة النعم لله ؟

الدليل على وجوب إضافة جميع النعم إلى لله تعالى، قال تعالى: "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ" [النحل:٥٣].

س٢ ما الدليل على أن نعم الله لا تعد ولا تحصى ؟

الدليل على أن عم الله لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: "وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" [إبراهيم:٣٤]، وقال تعالى: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" [النحل:١٨].

س٣ ما أركان الشكر ؟

الشكر الكامل يتحقق بوجود ثلاثة أركان:

١- اعتراف القلب بنعمة الله، واستشعاره أن كل نعمة فهي من الله جل وعلا.

٢- إقرار اللسان بالنعمة، وثناؤه على الله تعالى بنعمه كلها.

٣- استعمال النعمة في طاعة الله، وتجنب استعمالها في معصيته.

معلومات إثرائية

قال أبو حاتم:

(الواجب على من أُسدِي إليه معروف، أنْ يشكُره بأفضلَ منه أو مثله؛ لأنَّ الإفضال على المعروف في الشكر، لا يقوم مقام ابتدائه وإن قلَّ، فمَن لم يَجِد، فليُثنِ عليه؛ فإنَّ الثَّناء عند العدم، يقوم مقامَ الشكر للمعروف، وما استغنى أحدٌ عن شكر الناس)[1].

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء؛ لأبي حاتم محمد بن حِبَّان، ص ٣٦٢.

الدرس الثامن ٨

نِسبَةُ النِّعم لغير الله

تمهيد

يجب نسبة النعم للّه ولا يجوز نسبتها لغيره، فما صور نسبة النعم لغير اللّه، وما أمثلة ذلك في واقعنا؟

المراد بنسبة النِّعم لغير الله

المراد بنسبة النِّعم لغير الله هنا: إضافة النِّعم إلى السبب الظَّاهر، مع نسيان المسبِّب وهو الله تعالى، المنعمُ الحقيقيُّ.

صور من نِسبةِ النِّعم لغير الله

الصُّورةُ الأولى: قول: (لولا فلان لم يكن كذا)

قال عون بن عبد الله رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وهذا كما يقول بعض الناس: لولا الطيَّار لهلكنا، أو لولا أن السائق كان حاذقًا لاصطدمت السيارة.

وفي هذه الأحوال يجب نسبة النعم إلى الله تعالى، فيقال مثلًا: كان السائق بفضل الله حاذقًا، وفق الله الطيَّار لكذا، أو يقال: لولا، الله ثم فلان لكان كذا، ونحو ذلك من العبارات التي فيها نسبة الفضل لله جلَّ وعلا، وأن المخلوق ما هو إلا سبب أعطانا الله تعالى النعمة على يده.

(١) سورة النحل آية ٨٣.

نشاط ١

بالتحاور مع مجموعتك: اذكر ثلاثة من واقعك على الصورة الأولى:

١. تقدم الطب قضى على الأمراض.....

٢. الخطط التنموية تقضي على الفقر والجهل.....

٣. حصلت على هذه الكنوز بسبب حذقي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وليست هي تفضلاً من الله تعالى.

الصُّورةُ الثانيةُ: قول: (هذا بشفاعة آلهتنا)

قال ابن قُتَيبةَ رحمه الله في تفسير الآية السابقة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا. والمعنى: أن الله تعالى إذا أنعم على الكافرين بشيء من رزقٍ أو ربح أو نزولِ مطرٍ، يُقرُّون بأن الله تعالى رزقهم ذلك، ولكنهم يعودون فينكرونه بقولهم: رُزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

الصُّورةُ الثالثةُ: قول: (كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا)

قال بعض السلف رحمهم الله في تفسير الآية السابقة: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملَّاح حاذقًا. والمعنى: أن الله تعالى إذا أنعم على أهل السفينة بالسلامة نسبوا ذلك إلى غيره كالرِّيح وقائدِ السفينة، مع أن الله تعالى هو الذي أجرى الفلك في البحر، وسخر لها الريح، فكان الواجب أن تنسب النعمة إليه لأنه هو المنعم بها. وفي حكمها قول: كان السائق ماهرًا.

الصُّورةُ الرابعةُ: نسبة المطر إلى غير الله تعالى

كقولهم: مُطرنا بنوء كذا وكذا.

حكم نسبة النِّعم لغير الله

نِسبة النِّعَم إلى غير الله نوعان:

النوع الأول: كُفْرٌ أصغَرُ

ويسمَّى: (كفرَ النِّعمة)، وهو نِسبة النِّعم إلى غير الله باللِّسان فقط.(١)

والدليل على ذلك:

١ قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢)، ومعنى الآية الكريمة: أن الكفَّار يعرفون نعم الله عليهم، ولكنهم ينسبونها إلى غيره من آلهتهم الباطلة أو آبائهم وأجدادهم، وهذا بسبب كفرهم بالله تعالى.

٢ حديث زَيْدِ بن خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قالَ: صَلَّى لنَا رسولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ (قرية قريبة من مكة تسمى الآن الشميسي) على إِثْرِ (عقب مطر نازل من السماء) سَمَاءٍ كانتْ مِن اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النبيُّ ﷺ أَقْبَلَ علَى الناسِ فقالَ: «هل تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟»، قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «أَصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَن قالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».(٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهذا كثير في الكتاب والسُّنة، يذم سبحانه مَن يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به).

النوع الثاني: كُفْرٌ أكبرُ

وذلك إذا نُسبت النِّعم إلى غير الله على أنه هو الخالق لها، والمعطِي لها على الحقيقة، أو جَحَدَ الإنسان نعمة الله تعالى مطلقًا، أو نسبها لله بلسانه مع إنكار ذلك بقلبه؛ فهذا كله مِن الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

---

(١) هذه النسبة باللسان، أما القلب فيعترف بأنها من عند الله، فأما إذا كان القلب جاحدًا فهذا كفر أكبر.

(٢) سورة النحل آية ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، قال ابن عَبَّاسٍ: شُكْرَكُمْ ١/٣٥١(٩٩١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كُفْرِ من قال مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ برقم (٧١).

نشاط ٢

قارن بين نسبة النعم لغير الله حسب الجدول التالي:

	تكون كفرًا أصغر	مثالها	تكون كفرًا أكبر	مثالها
نسبة النعم لغير الله	وذلك؛ إذا نسب النعم لغير الله باللسان فقط.	أصابتا الخيرات بشفاعة فلان.	وذلك؛ إذا نسب النعم لغير الله بلسانه مع إنكار ذلك بقلبه.	نسبة المطر إلى غير الله تعالى، كقولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا.

التقويم

س١ عدّد ثلاثًا من صور نسبة النعم لغير الله.

١. الصورة الأولى: قول: (هذا بشفاعة آلهتنا).
٢. الصورة الثانية: قول: (لولا فلان لم يكن كذا).
٣. الصورة الثالثة: نسبة المطر إلى غير الله تعالى، كقولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا.

التقويم

س٢ بيِّن نوع الكفر فيما يلي :

أ قول : مطرنا بنوء كذا وكذا .

(كفر أكبر).

ب قول : أصابتنا الخيرات بشفاعة فلان .

(كفر أصغر).

ت قول :لولا الله وفلان لكان كذا .

(كفر أصغر).

معلومات إثرائية

قال ابن القيم رحمه الله:(فإن أصل الشكر هو الإعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه لم يشكرها أيضًا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضى به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها. فلا بد في الشكر من علم القلب)[1].

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ج ١ ص ٩٥.

الدرس التاسع ٩

نِسْبَةُ النِّعم إلى النَّفْسِ

تمهيد

قد ينسى بعض الناس، أو يتكبر فينسب نعم الله تعالى عليه إلى نفسه.

- فما حكم ذلك؟ **حكم نسبة النعم إلى النفس حرام، وهو من الكفر الأصغر الذي يسمى: (كفر النعمة)، وهو نقص في كمال التوحيد الواجب.**

المراد بنسبة النِّعم إلى النَّفس

أن يضيف الإنسان ما آتاه الله مِن النِّعم إلى نفسه، أو آبائه وأجداده، مع نسيان المنعم الحقيقي وهو الله تعالى.

(١) سورة فصلت آية ٥٠.

حكم نسبة النِّعم إلى النَّفس

نسبة النِّعم إلى النفس حرام، وهو من الكُفْر الأصغَرِ الذي يسمَّى: (كفرَ النِّعمة)، وهو نقصٌ في كمال التوحيد الواجب.

والدليل على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[1]

غنى وصحة — شدة وبلاء — الجنة — شديد وهو خلودهم في النار

قال مجاهد رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا لِي﴾: (هذا بعملي، وأنا محقوق به). وقال ابن عباس: (يريد مِن عندي).

أمثلةٌ لنسبة النِّعم إلى النَّفس

١ قول الطالب إذا نجح: هذا بجدي واجتهادي.

والواجب: أن ينسب النعمة لله فيقول مثلًا: الحمد لله، هو الذي أعانني وسهَّل عليَّ، فذاكرت واجتهدت ونجحت.

(١) سورة فصلت آية ٥٠.

٢ قول التَّاجر: جمعتُ ثروتي بذكائي ومعرفتي بوجوه البيع والشراء.
والواجب: أن ينسب النعمة لله فيقول مثلًا: هذا من فضل الله علي، أو الحمد لله الذي رزقني، أو الحمد لله الذي يسَّر لي أسباب الرزق.

٣ قول بعض الناس إذا حصلت له نعمة: أنا مستحقٌّ لها.
والواجب: أن يعلم العبد افتقاره إلى ربه، وأنه لا يستحق على ربه شيئًا، وكل ما أعطاه الله تعالى تفضل من الله عليه لا باستحقاق له على ربه.

نشاط ١

بالتعاون مع مجموعتك: اذكر مثالين آخرين لنسبة النعم إلى النَّفس:

١ كأن يقول الرابح من تجارة، كسبت هذا بمجهودي وجدي.

٢ أن يقول من وصل لدرجة عالية من العلم، هذا بسهري وكثرة علمي.

نماذج من شكر نعمة الله وكفرها، وعاقبة ذلك

أولًا: قصة الثلاثة من بني إسرائيل، الأعمى والأبرص والأقرع

قصَّ علينا رسول الله ﷺ قصة لثلاثة رجال من بني إسرائيل، وكيف أن بعضهم أنعم الله عليه فشكر، وبعضهم أنعم الله عليه فكفر نعمته، ونسبها إلى نفسه، ثم بيَّن النبي ﷺ عاقبة كل واحد منهم.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سمع النبي ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلاثَةً فِي بني إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ فقالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنه قَذَرُهُ، وأُعطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا. قال: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الإِبِلُ. قالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فقالَ: بَارَكَ اللهُ لكَ فيهَا.

كرهوا مخالطتي وعدوني مستقذرًا لأجله

الناقة الحامل التي مضى على حملها عشرة أشهر

قالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فقالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هذا الذي قَذِرَنِي النَّاسُ. قالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عنه، وأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الْبَقَرُ، فأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، فقالَ: بَارَكَ اللهُ لكَ فيهَا.

واجباتي

قالَ: فَأَتى الأَعْمَى، فقالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إليه بَصَرَهُ، قالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الغَنَمُ. فأَعْطِيَ شَاةً وَالِدًا ← ذات ولد

فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هذا. قالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ. قالَ: ثُمَّ إنه أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قد انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فلا بَلاغَ لِي اليَوْمَ إلا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عليه فِي سَفَرِي. فقالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فقالَ له: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ الناسُ؟! فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟! فقالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هذا المَالَ كَابِرًا عن كَابِرٍ!! فقالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى مَا كُنْتَ. قالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فقال له مِثْلَ ما قال لِهَذَا، وَرَدَّ عليه مِثْلَ ما رَدَّ على هَذَا، فقالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى مَا كُنْتَ.

قالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابن سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فلا بَلاغَ لِي اليَوْمَ إلا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بها فِي سَفَرِي. فقالَ: قد كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلهِ. فقال: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ على صَاحِبَيْكَ».(١)

أتوصل به ← وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عليه

أسباب المعيشة ← وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ

لا أشق عليك ← أَجْهَدُكَ اليَوْمَ

نشاط ٢

استخرج من القصة ما يلي:

أ النعم التي أنعم الله بها على كل واحد من الثلاثة:

الأول: الإبل.

الثاني: البقر.

الثالث: الغنم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث أَبْرَصَ وَأَعْمَى وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ٣/١٢٧٦ (٣٢٧٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٦٤)، وهذا لفظه.

نشاط ٢

عاقبة شكر النّعم:

دليل على أن شكر نعمة الله على العبد من أسباب بقاء النعم وزيادتها، كما قال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) {إبراهيم:٧}. أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها.

عاقبة كفر النِّعم:

عقاب كفر النعمة فإنه يكون بزوالها والعقاب عليها؛ فكما أن شكر النعمة يزيدها فإن كفرها يزيلها. قال تعالى: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" {إبراهيم:٧}. أي: ولئن كفرتم أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها إن عذابي لشديد، وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حَدِيثُ أَبْرَصَ وَأَعْمَى وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ٣/١٢٧٦ (٣٢٧٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٦٤)، وهذا لفظه.

ثانيًا: مشركوا قريش

قال الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]، قال مجاهد رحمه الله: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي، ففي هذه الآية الكريمة ذمٌّ لمشركي قريش، حيث إنهم يعرفون نعم الله تعالى عليهم، ثم ينسبونها لآبائهم.

وقول الرجل: (هذا مالي ورثته عن آبائي) له حالان:

أ. إذا قالها لمجرد الإخبار، فلا بأس بذلك.

ب. إذا قالها ناسيًا نعمة الله عليه في هذا المال، ومتفاخرًا بأنه إنما حصَّله مِن كدِّه وكد آبائه، فهذا حرام، وهو من كُفرِ النعمة، وسوء الأدب مع الله تعالى الذي أنعم عليه وعلى آبائه بترك نسبة النعمة إليه، وهو يُنقص التوحيد، وقد قالها قارون فعاقبه الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾.[2]

ثالثًا: قصة قارون

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[3]، قال قتادة رحمه الله: على علم مني بوجوه المكاسب.

وقال بعض العلماء رحمهم الله: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد رحمه الله: أوتيته على شرف.

ثم قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة النحل آية ٨٣.
(٢) سورة القصص الآيات ٧٦-٧٨.
(٣) سورة القصص آية ٧٨.
(٤) سورة القصص الآيات ٧٨-٨٠.

ثم بين الله تعالى عقوبته فقال: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

نشاط ٣

استخرج من قصة قارون ما يلي:

١ النعمة التي أنعم الله بها عليه.

أعطاه الله من كنوز الأمْوال شيئًا كثيرًا ما إنَّ مفاتحه لتنوءُ بالعصبة أولي القوَّة، والعصبة من العشَرة إلى التِّسعة إلى السَّبعة ونحو ذلك؛ أي: إنَّ مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القويَّة عن حَمْلِها.

(١) سورة القصص الآيات ٨١-٨٣.

نشاط ٣

ب ماذا يجب عليه في هذه النِّعمة ؟

١. أن لا يفرحْ بهذه الدُّنيا العظيمة ويفتخِر بها؛ فإنَّ الله لا يحبُّ الفرحين بها.

٢. التصدق وعدم نسي الآخرة.

٣. الإحسان إلى عباد الله.

٤. عدم التكبر والعمل بالمعاصي ونشر الفساد في الأرض.

ت العقوبة التي حصلت له:

فخسف اللهُ به وبدارِه الأرض، فما كان له من جَماعةٍ أو عصبة أو جنود ينصُرونه، فما نُصِر ولا انتصر، ثمَّ عرف الَّذين تمنَّوا مكانه بالأمس من الَّذين يريدون الحياة الدُّنيا أنَّ الله يضيق الرِّزْقَ على مَن يشاء ويبسطُه لمن يشاء، وعلموا أنَّ بسْطَه لقارون ليس دليلاً على محبَّته، وأنَّ الله منَّ عليْهِم فلم يُعاقبْهم على قولِهم، وإلاَّ أصبح حالُهم الهلاك كقارون.

(١) سورة القصص الآيات ٨١-٨٣.

معلومات إثرائية

قال الإمام ابن القيِّم رحمه اللَّه تعالى: وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ (أَنَا)، و(لِي)، و(عِنْدِي)، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ ابْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ، وفرعون، وقارون، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[1] لإبليس، وَ ﴿لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[2] لفرعون، وَ ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾[3] لقارون. وَأَحْسَنُ مَا وُضِعَتْ (أَنَا)[4]، فِي قَوْلِ الْعَبْدِ: أَنَا الْعَبْدُ الْمُذْنِبُ، الْمُخْطِئُ، الْمُسْتَغْفِرُ، الْمُعْتَرِفُ وَنَحْوِه، و(لي)، فِي قَوْلِهِ: لِيَ الذَّنْبُ، وَلِيَ الْجُرْمُ، وَلِيَ الْمَسْكَنَةُ، وَلِيَ الْفَقْرُ وَالذُّلُّ، و(عِنْدِي)، فِي قَوْلِهِ: اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي. اهـ[5].

التقويم

س١ اذكر مثالين على نسبة الإنسان النعم إلى نفسه.

١. قول الطالب إذا نجح: هذا بجدي واجتهادي.

والواجب: أن ينسب النعمة لله فيقول مثلاً: الحمد لله، هو الذي أعانني وسهل علي، فذاكرت واجتهدت ونجحت.

٢. قول التاجر: جمعت ثروتي بذكائي ومعرفتي بوجوه البيع والشراء.

والواجب: أن ينسب النعمة لله فيقول مثلاً: هذا من فضل الله علي، أو الحمد لله الذي رزقني، أو الحمد لله الذي يسر لي أسباب الرزق.

(١) سورة الأعراف آية ١١.
(٢) سورة الزخرف آية ٥١.
(٣) سورة القصص آية ٧٨.
(٤) إنما تكره كلمة (أنا) إذا قيلت للتعالي والتكبر، لا مطلقا، فتحسُّنُ بعض الناس منها، وقولهم إذا قالوها: وأعوذ بالله من كلمة أنا، مما لا ينبغي لأنه لا أصل له، والاستعاذة عبادة، وقد قال النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»، ولم يقل مثل هذا.
(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٤٣٤-٤٣٥.

التقويم

س٢ ما حكم نسبة النعم إلى النفس؟ مع ذكر الدليل على ذلك .

حكم نسبة النعم إلى النفس حرام، وهو من الكفر الأصغر الذي يسمى: (كفر النعمة)، وهو نقص في كمال التوحيد الواجب، والدليل على ذلك: قول الله تعالى: "وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ".

س٣ اذكر ثلاث فوائد من قصة الأبرص والأقرع والأعمى.

١ـ هذا الحديث عظيم وفيه معتبر: فإن الأَوَلَين جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمه ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيهما بنعمه فحل عليهما السخط، وأما الأعمى فاعترف بنعم الله ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله.

٢ـ أن شكر النعمة يكون بثلاثة أمور، وهي:
الإقرار بالنعمة، قال تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ).
ونسبتها إلى المنعم، قال تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ).
وبذلها فيما يجب، قال تعالى: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً).

٣ـ بيان أن زعْم الإنسان استحقاقه النعم المستادة إليه بعد ضراء أصابته منافٍ لكمال التوحيد.

---

(١) سورة الأعراف آية ١١.
(٢) سورة الزخرف آية ٥١.
(٣) سورة القصص آية ٧٨.
(٤) إنما تكره كلمة (أنا) إذا قيلت للتعالي والتكبر، لا مطلقا، فتحسُّسُ بعض الناس منها. وقولهم إذا قالوها: وأعوذ بالله من كلمة أنا، مما لا ينبغي لأنه لا أصل له، والاستعاذة عبادة. وقد قال النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم». ولم يقل مثل هذا.
(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٤٣٤-٤٣٥.